الشعور بالاغتراب عند ألبير كامو وعلي الجندي

الدكتورة: وفاء استنبولي

كلية: الآداب جامعة: البعث

ملخص البحث

حظي موضوع الاغتراب باهتمام طيف من الباحثين والدارسين، وأُنجزت دراسات وبحوث متنوعة قاربته من جوانب متعددة نفسية واجتماعية واقتصادية وسواها؛ ويهدف هذا البحث إلى كشف أسباب الشعور بالاغتراب وتجلياته عند الأديب الفرنسي ألبير كامو والشاعر السوري علي الجندي، معتمداً في ذلك بعض المقتطفات النثرية والشعرية المختارة من نتاجهما الأدبي لرصد نقاط الالتقاء والاختلاف بينهما.

الكلمات المفتاحية: الشعور، الاغتراب، الآثار، التجليات، النتاج الأدبي.

The alienation of Albert Camus and Ali Al-Jendy

abstract

The subject of alienation has received the attention of a number of researchers and scholars, and studies and research have been carried out that approached it from multiple psychological, social, economic and other aspects. Points of convergence and difference between them.

The research aims to reveal the reasons for the feeling of alienation and its manifestations for Albert Camus and Ali Al-Jundi, pleading for this with some selected poetic and prose passages from their literary productions to monitor the points of convergence and difference between them.

Keywords: Feeling, alienation, effects, manifestations, literary production.

مقدمة:

يعدّ الاغتراب من المفهومات الفكرية المعاصرة، إلا أنّه يشكل ظاهرة عامة يمكن ملاحظتها في الثقافات والمجتمعات على اختلافها، وتتعدد دلالاته وتتباين تبعاً لتنوع وجهات نظر الباحثين والمفكرين واختلاف مشاربهم الثقافية والفكرية وتعددها.

ويمكن تحديد تلك الدلالات استناداً إلى دوافع الاغتراب السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالانفصال والعجز والاستسلام ، والتخلي والعزلة الاجتماعية والغربة الذاتية، وسوى ذلك من الدلالات التي تشير إلى حالة من الانفصال بين الإنسان وواقعه.

وسيرصد البحث اختلاف مفهوم الاغتراب عند عدد من الباحثين والمفكرين، ومن ثمّ يدرس أسبابه وتجلياته فيما قدّمه ألبير كامو وعلي الجندي من نتاج أدبي.

مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه:

تتمثّل في الكشف عن الأسباب التي دفعت الأديبين ألبير كامو وعلي الجندي إلى الشعور بالاغتراب، وكيف تجلّت هذه الظاهرة فيما قدّماه من نتاج أدبي.

أمّا أهميته فتتجلى برفده المكتبة العربية بدراسة جديدة مقارنة، تلقي الضوء على جانب من جوانب شخصية الشاعر السوري علي الجندي الذي اعترف بتأثره بالفلسفة الوجودية، ولا سيما أفكار ألبير كامو.

أهداف البحث وأسئلته:

يكتسب البحث مشروعيته من محاولته الإجابة عن جملة من الأسئلة تمثّل نقاط انطلاق رئيسة للوصول إلى غايات البحث؛ وهي:

1- ما أسباب الشعور بالاغتراب عند ألبير كامو وعلي الجندي؟

2- ما هي تجليات الاغتراب عندهما؟

3- كيف أثّر الشعور بالاغتراب في شخصية كلّ منهما فيما أبدعه؟

فرضيات البحث وحدوده:

يفترض البحث دراسة الشعور بالاغتراب بين هذين المبدعَين من خلال إجراء مقارنة بين أسباب الاغتراب وتجلياته وآثاره لديهما، والبحث فيما إذا كان السبب الرئيس للشعور بالاغتراب عند علي الجندي يقتصر على تأثّره بأفكار ألبير كامو الوجودية، أو أنّ ظروفاً معينة شخصية أو اجتماعية أو سوى ذلك دفعته إلى ذلك الشعور.

مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائية:

الاغتراب:

لغة: تشير معاجم اللغة العربية إلى أنّ لفظ (اغتراب) مشتق من الفعل (غرب) بمعنى: غابَ وبعُدَ ونأى وتنحّى، جاء في كتاب (العين) " الغربة:الاغتراب عن الوطن، وغرب فلان عنّا أي تنحّى، وأغربته وغرّبته: أي نحّيته، الغربة: النوى والبعد."[1]

وأشار ابن منظور إلى أنّ لفظ "الغرب: الذهاب والتنحي عن الناس، وقد غرب عنّا وأغرب وأغربه وغرّبه: نحّاه، واغترب الرجل: تزوج إلى غير أقاربه، وقالوا: هل أطرفتنا من مغربة خبر؛ أي هل من خبر جاء من بعد..والخبر المغرب: الذي جاء غريباً حادثاً طريفاً."[2]

[1] : العين، الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، 41/4، ص46.
[2] لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت،1994، ط3،ج11، ص24.

اصطلاحاً: يعني "شعور المبدع بعدم الانتماء للمكان الذي يوجد فيه، أو البيئة التي يعيش فيها، فهو ظامئ تائق دائماً لمكان آخر وبيئة أخرى يجد فيها ما يحبّ ويهوى، ويتجلى ذلك بطبيعة الحال في إنتاج ذلك المبدع."[3]

أمّا في المعجم الفلسفي فنجد لفظ (الاغتراب الروحي) يتصل بالنزعة الرومانسية أو ما يرتبط بها، ليدلّ على جملة الانفعالات التي يستثيرها فكر البلاد الأجنبية أو الاتصال بها، وفي هذه النزعة يظهر الميل إلى ما هو غريب عن البلد الأصلي.[4]

ويُلاحظ تداخل المعنى اللغوي للاغتراب مع المعنى الاصطلاحي؛ فالإشارة واضحة إلى البعد الجسدي والفكري وما ينشأ عنه من مشاعر الغربة والانفصال وعدم الانتماء وسواها.

منهج البحث وإجراءاته:

يعتمد البحث المنهج النفسي منهجاً إجرائياً لمقاربة النصوص النثرية والشعرية المختارة وتحليلها.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

لم تكن ثمّة دراسة توجهت على نحو مباشر لدراسة الشعور بالاغتراب عند ألبير كامو وعلي الجندي في حدود الاطلاع ، لكنّ البحث توقف عند بعض الدراسات التي لها صلة بالبحث من جانب بسيط لعلّ أبرزها بحث بعنوان: إشكالية الاغتراب في الفكر العربي والغربي لجوزة عبد الله .

[3] معجم المصطلحات الأدبية، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985، ط1، ص 233.
[4] المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، د.ط، ص76.

عرض البحث والمناقشة والتحليل:

الاغتراب مفهوم متعدد الدلالات، تنوعت وجهات نظر الباحثين والدارسين والمفكرين تجاهه وتباينت تبعاً لتنوع اتجاهاتهم ومشاربهم الفكرية، فالفيلسوف الانكليزي توماس هوبز (1588–1679) عدّه خللاً يمكن أن يعتري الذات الإنسانية، وذلك عندما أشار إلى الاغتراب الذي يحصل بسبب وقوع خلل في إبرام العقد الاجتماعي من قبل أفراد البشر، وينتقلون بموجبه من حالة الطبيعة إلى حالة المجتمع المدني، فالتعاقد الاجتماعي ينطوي على تخلي أفراد البشر بإرادتهم على وفق ما تقتضيه مصلحتهم عن حقوقهم الطبيعية، وإكمال تلك الحقوق والسلطات والصلاحيات إلى رمز السلطة– الملك. فالنظام الطبيعي الذي تسيطر فيه القوانين الطبيعية يتوافق مع المراحل الأولى من تاريخ البشرية عندما كان الإنسان لا يزال قريباً من الطبيعة، ولا يزال حراً من الأهواء التي ألصقت به فيما بعد والغريبة عن كائنه الطبيعي..والدولة هي الوجه الآخر للنقيض، إنّها دولة السيادة الكاملة القادرة وحدها على بناء مجتمع سليم..فالدولة قوة إكراه وعنف، وينبغي أن يكون عنفها أقدر على لجم العنف الآخر السائد بين الناس.[5]

فعندما يتخلى المرء عن حقه الفردي الطبيعي مبرماً عقده الاجتماعي مع السلطة، يخطو أولى خطواته باتجاه الاغتراب.

وميّز جان جاك روسو (1778– 1712) بين جانبين للاغتراب؛ جانب إيجابي يتمثّل في أن يسلّم الإنسان ذاته إلى الكلّ، وأن يضحي في سبيل هدف نبيل وكبير كقيام المجتمع، أو دفاعاً عن الوطن، وجانب سلبي يتمثّل في أن يتحول الإنسان إلى سلعة تُطرح للبيع في سوق الحياة، فاقداً فيه ومن خلاله ذاته ووجوده الشرعي الأصيل.[6]

[5] إشكالية الاغتراب في الفكر العربي والغربي، جوزه عبد الله، مجلة الباحث، العدد 9، ابريل 2012، ص 298.
[6] يُنظر: العقد الاجتماعي، جان جاك روسو، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، د.ت، د.ط، ص 42-43.

ويُعدّ هيغل (1770–1831) أول من استخدم في فلسفته مصطلح الاغتراب استخداماً منهجياً مقصوداً ومفصلاً، إذ خصص له باباً بعنوان (الروح المغترب عن الحضارة) في كتابه (فنومينولوجيا الروح) عالج فيه هذه القضية، ورأى أنّ للاغتراب وجهين: وجه إيجابي يحفّز على الإبداع والخلق في العمل، ووجه سلبي يكمن في الانفصال والانقسام وعدم التعرف على الذات.[7]

أمّا كارل ماركس (1818–1883) فقد منح مفهوم الاغتراب طابعاً اجتماعياً واقتصادياً مستخدماً تعبير (اغتراب الذات) بمعنيين: أنّ عمل الإنسان هو حياته، وأنّ إنتاجه هو حياته في شكل متموضع؛ ومن ثمّ فإنّه عندما يغترب عنه فإنّ ذاته تغترب عنه أيضاً. والمعنى الثاني يشير إلى انفصال الإنسان عن حياة الإنسانية أو طبيعته الجوهرية وتجريده من خاصيته البشرية.[8]

بينما عزا سيغموند فرويد(1856–1939) الشعور بالاغتراب إلى الحضارة؛ لأنّها تبعد الإنسان عن دوافعه الغريزية النرجسية، وتفرض عليه قيوداً وواجبات تتعارض مع ذاتيته ويؤدي هذا التعارض إلى كبت يُقابَل بعدوانية متأصلة في طبيعة البشر، وكلما كبتَ ميوله أُجبر على حشد طاقات أكبر لمواجهة تلك الميول ولاسيما العدوانية والجنسية.[9]

مما يعني استخدام الكثير من طاقاته ضد ذاته، الأمر الذي ينعكس على طريقته في مواجهة العالم الخارجي، إنّه لن يستطيع إلغاء غرائزه الطبيعية، فيحاول تعطيلها أو كبتها وهذا يؤثّر سلباً على توازنه النفسي وصحته العقلية؛ وإذا نجح في التسامي بها – وهذا مصدر الإبداع– يغدو الإبداع أحد تجليات الاغتراب.

[7] يُنظر: فنومينولوجيا الروح، فيورغ هيغل، تر: ناجي العونلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ط1، ص513-516.
[8] يُنظر: الاغتراب اصطللاحاً ومفهوماً وواقعاً، قيس النوري، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 10، العدد (1)، نيسان 1979، ص21.
[9] يُنظر: قلق في الحضارة، سيغموند فرويد، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1996، ط4، ص 52-53.

فالإنسان "دائم الميل إلى الدفاع عن حقه في الحرية الفردية ضدّ إرادة المجموع، وكثيرة هي الصراعات التي تُخاض ضمن نطاق البشرية وتتركز حول مهمة يتيمة: إيجاد توازن مناسب وقمين بالتالي بتأمين سعادة الجميع بين مطالب الفرد وبين المطالب الثقافية للجماعة، وإنّها لواحدة من المشكلات التي يتوقف عليها مصير الإنسانية أن نعرف هل يمكن أن يتحقق هذا التوازن بواسطة شكل معين من الحضارة، أم أنّ هذا النزاع على العكس لا حلّ له."[10]

يؤكد ايريك فروم (1900–1980) في كتابه (الخوف من الحرية) أنّ الإنسان في سعيه الدائم إلى الحرية يغفل عن جانبها السلبي ؛العزلة والعجز اللذان أوجدتهما للفرد وما يصاحبهما من شك لا عقلاني يجعل نظرته للعالم نظرة قلق وكراهية[11]، إنّه لا يشعر باستقلاله وحريته الشخصية بمعزل عن روابطه الأولية سواء كانت هذه الروابط الإله أو الأم أو الطبيعة أو الجنس البشري أو القبيلة أو الأفكار أو الأشخاص، فالمجتمع الحديث مسؤول عنده عن اغتراب الذات عن الآخرين بفعل تركيبته، حيث "فقدت العلاقة العينية للفرد مع الآخر طابعها الإنساني، وأصبح لهذا الطابع روح الاستغلال وتحول كلّ شيء إلى آلة وبدلاً من وجود علاقات بين بشر، توجد علاقات بين أشياء."[12]

ويؤكد تلك المظاهر –عنده– غياب الذات والحرية والتفرّد، وغياب تواصل الإنسان مع الآخرين فضلاً عن القلق والعزلة واليأس واندثار القيم الإنسانية.

وتنسجم مقولات الفلسفة الوجودية ممثّلة بسارتر مع مقولات فرويد وفروم حول الاغتراب بأنّه انعدام الحرية الإنسانية، وما ينجم عنها من استبداد وقهر وسلب لإرادة الإنسان لأنّه

[10] قلق في الحضارة ، سيغموند فرويد، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1996، ط4، ص51
[11] الخوف من الحرية، ايريك فروم، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972، ط1، ص67-70.
[12] الخوف من الحرية، مرجع سابق، ص101.

"لن يحقق وجوده الإنساني باتجاهه نحو ذاته، ولكنّه سيحقق هذا الوجود بتجاوزه لذاته وسعيه خلف غايات خارج ذاته، بهذه الطريقة وحدها يحرر ذاته ويحقق وجوده كإنسان."[13]

فالإنسان يوجد أولاً قبل كل شيء، ويواجه نفسه وينخرط في هذا العالم ليعرف نفسه فيما بعد.

إذن، يمكن تحديد دلالات الاغتراب ومضامينه استناداً إلى دوافعه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ بالعجز والاستسلام وفقدان المعنى واللامبالاة،والانفصال والتخلي وعدم الشعور بالانتماء والعزلة الاجتماعية، والغربة الذاتية التي تمثّل القضية الجوهرية لأنّها تشير إلى أنّ الفرد لم يعد يملك زمام ذاته. فإذا كان فناناً فإنّه يشعر بأنّ العالم كلّه سجن أُقحم فيه مرغماً[14]فكبّله بقيوده، وغمره بشروره وآلامه، فهو يشعر بأنّه غريب بين مواطنيه وأهله، وهو أبداً تائق إلى عالم آخر خير من هذا.

فالمبدع أو الفنان عموماً يعيش دائماً في حالة قلق وجوديّ لشعوره الدائم ببعد أحلامه وضياع أمنياته برؤية واقعه وعالمه أفضل مما هو عليه.

أمّا ملامح الشعور بالاغتراب في الأدب العربي القديم وإرهاصاته الأولى فنجدها في شعر الصعاليك الذين رُفضوا من أقوامهم، وغُرّبوا عنها، فاغتربوا بأفكارهم وانتهجوا نهجاً جديداً من الحياة يفخرون به على الرغم من الأذى النفسي الذي أصابهم جراء ذاك الرفض، وخير من يمثّلهم الشنفرى في قوله:[15]

وفي الأرض منأى للكريم من الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل

[13] الوجودية مذهب إنساني، سارتر، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: فؤاد زكريا، المجلس الوطني للفنون والآداب والثقافة، الكويت، 1982، د.ط، ص 78.
[14] المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ط2، ص196.
[15] ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق: إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996، ط2، ص58-59.

لعمرك ما في الأرض ضيقٌ على امرئ سرى راغباً أو راهباً وهويعقل

يؤكد الشنفرى أنّ هدفه المنشود هو الخلاص من أذى بعض الناس وبغضهم، فنجاته وراحة نفسه تكمن في اعتزالهم.

وقد شاع الاغتراب في الشعر العربي الحديث منذ خمسينيات القرن العشرين بتأثير الفلسفة الوجودية والنزعات الرومانسية الغربية، تدعمها أسباب وعوامل محلية عربية: سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية، أسهمت في تهميش الإنسان العربي وانعزاله وتعميق شعوره بالغربة والاغتراب، فالشاعر علي الجندي اهتدى إلى كتب ألبير كامو، وشدّه بحثه عن الإنسان المتمرد، فكان التمرد بالنسبة إليه الرغبة في أن تكون له شخصية مختلفة عمّن حوله، فعاش فوضوياً بكثير من النشوة.[16]

و سيدرس البحث اغتراب الشاعر علي الجندي من حيث الأسباب والتجليات دراسة مقارنة مع اغتراب الأديب الفرنسي ألبير كامو؛ معتمداً مفهوم الاغتراب من وجهة نظر علماء النفس بما يتوافق مع المنهج المتبع في الدراسة.

الاغتراب عند ألبير كامو (1913-1960)

أسباب الاغتراب:

1- النشأة المتواضعة: وّلد في الجزائر لأب فرنسي كان يعمل في مصنع للنبيذ، وأم من أصول إسبانية عملت في مصنع للبارود ثمّ في خدمة المنازل، توفي والده قبل أن يبلغ عامه الأول فأمضى طفولته في الجزائر مع والدته وجدته المتسلطة وخاله المصاب بعاهة دائمة.

[16] علي الجندي: عشت كما أحببت..ويقهرني العجز لا الموت، عمر شبانة، صحيفة الحياة، يوم 1999/7/31

وتلقى تعليمه الابتدائي ومن ثمّ الجامعي في الجزائر، متأثراً بكتابات أستاذه جان جرينيه ولاسيما كتابه (الجزائر).[17]

2- المرض: أُصيب كامو بداء السلّ في مقتبل شبابه وله من العمر سبعة عشر ربيعاً، وظلّ يعاني من تبعات الداء ونوباته إلى أن بلغ الثلاثين من عمره، وكان المرض يعاوده ويشتد عليه بين الحين والآخر فيضطر إلى التقيد بالعلاج والراحة؛ لذلك لم يتردد في حمل لواء المقاومة وتبنّي خيار المواجهة في حلبة صراع يخوض داخلها معركته من أجل الحياة مواصلاً فيما بعد تأملاته التي أثمرت مشروعاً أبرز عنواناته: الحبّ والتمرد والعبث.

3- ثنائية الانتماء: اكتسب كامو من محيطه الإفريقي المتوسطي ثقافة جزائرية-فرنسية لها خصائصها المميزة التي كان لها بلا ريب أثر قوي في تكوين شخصيته في مرحلة تاريخية حرجة من تاريخ البلدين؛ ففي عام 1934 اشترك كامو في الحركة المناهضة للنازية، ثمّ اشترك في حركة المقاومة لتحرير بلاده من الغزاة الألمان في أثناء الحرب العالمية الثانية. ودعا في عام 1956 في أثناء ثورة التحرير في الجزائر إلى قيام هدنة فيها محتجاً على معاملة الفرنسيين وحركة القمع التي قاموا بها في الجزائر، لكنّه قوبل مقابلة سيئة من المواطنين الفرنسيين، وعاد إلى فرنسا وهو يائس إلى حد ما،[18] لأنّه عدّ ما يجري في الجزائر مصيبة تمسّه شخصياً في بلد "بدون دروس، إنّه لا يعد بشيء ولا يحمل على الأوهام، إنّه يكتفي بأن يعطي، لكن ما أعظم أريحيته في العطاء.. وما يتطلبه هو نفوس نيّرة أي لا تقبل عزاء، إنّه يطلب أن يقوم الإنسان بفعل صاح مثلما يقوم بفعل الإيمان."[19]

[17] ألبير كامو- موسوعة ستاتفورد للفلسفة، تر: سارة اللحيدان، 2019/6/27، https:\\hekmah.org .
[18] أدباء فازوا بجائزة نوبل، أنيس فهمي إقلاديوس، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1999، ط1، ص119.
[19] أعراس، ألبير كامو، تر: جورج طرابيشي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، د.ط، ص 34.

تلك الأسباب حفرت عميقاً في نفس كامو، وانعكست آثارها بلا ريب في كلّ نتاجه الأدبي والفلسفي، وباستقراء مجموعة مختارة منها يمكن للباحث أن يلحظ ما يلي:

تجليات الاغتراب وآثاره عند ألبير كامو:

أطلق كامو العنان لفكره معبّراً في كتبه من أدب وفلسفة عمّا يدور في نفسه، فكانت (أسطورة سيزيف) و(الإنسان المتمرد) تنظيراً لفكره الفلسفي الجديد (العبثية). وعكست شخصيات رواياته وموضوعاتها ما يدور في خلجات نفسه من أسئلة وجودية قضّت مضجعه باستمرار ولاسيما روايته (الغريب).

1- أسطورة سيزيف:

يتفق كامو مع عدد من المفكرين مثل (سارتر ونيتشه) في الفكرة القائلة بأنه لا يوجد أي معانٍ محتومة في الحياة، فالمخلوقات ما هي إلا مادة أحيائية تحوم من دون شعور حول كرة صغيرة هي الأرض في كون لا متناه؛ لذلك وجد أنّ الإنسان فاسد وعنيف ولا يمكن إصلاحه، ويتوجب عليه أن يعاني من كلّ هذا فهو يشبه سيزيف تلك الشخصية الأسطورية التي امتحنتها الآلهة برفع صخرة إلى قمة جبل لكي تسقط مجدداً في مشهد يتكرر بشكل أبدي.

يرى كامو أن يتأقلم الإنسان مع حياته البائسة قدر استطاعته على الرغم من اعترافه بخلفيات الوجود التي بدت له سخيفة، ومن ثمّ يتغلب على الاحتمالية الثابتة لعدم الجدوى ، وكأنّه يتخيّل سيزيف سعيداً؛ "لكنّ سيزيف يعلّمنا الأمانة الأسمى التي تنفي الآلهة وترفع الصخور، وهو أيضاً ينتهي إلى أنّ كلّ شيء

حسن..... والصراع نفسه نحو الأعالي يكفي ليملأ قلب الإنسان . ويجب على المرء أن يتصور سيزيف سعيداً."[20]

فالإيقاع الآلي الرتيب الذي تسير عليه حياة الإنسان واعتياده الكثير من الأمور يسلبه الشعور بالسعادة، ويدفعه إلى الإحساس باللامبالاة و اللامعنى حتى "يأتي يوم يستيقظ فيه الإحساس بالمحال، وفجأة وعلى غير انتظار ليوقظ فينا الإحساس بالقرف والملال."[21]

فيتساءل الإنسان عن هدف حياته وهو السؤال الوجودي الذي قضّ مضجع المفكرين والفلاسفة وبحثوا فيه كثيراً؛ ووجد سيغوند فرويد –على سبيل المثال– أنّ "مبدأ اللذة دون غيره هو الذي يحدد هدف الحياة ويتحكم من البدء بعمليات الجهاز النفسي، ولا يمكن لظلّ من شك أن يحوم حول نفعه."[22]

فالحياة المفروضة على الإنسان ثقيلة الوطء، تغلّ عنقه بكثير من المهام والمشاق والخيبات، ممّا يولّد لديه شعوراً بالغربة تجاه هذا العالم، فأناه تنشد الحرية والعالم يعاديها ويحاصرها، ثمّ تتقدم حقيقة الموت لتكشف له عبثية الحياة، ولكي يستطيع لها حلاً فلا بدّ من لجوئه إلى استراتيجيات تخفف من وطأتها؛ لذلك تحدى كامو عبثية الحياة بالعيش مستمتعاً بكلّ ملذاتها، وكان كتابه (أسطورة سيزيف) "دعوة سهلة للعيش والخلق حتى وسط الصحراء."[23]

ونجد في هذه الدعوة اعترافاً ضمنياً بالوجه المضيء للاغتراب ألا وهو الإبداع؛ فمن رحم المعاناة قد يُولد الخلق والإبداع.

[20] أسطورة سيزيف، ألبير كامو، تر:أنيس زكي حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، د.ط، ص 18.
[21] ألبير كامو (محاولة لدراسة فكره الفلسفي)، عبد الغفور مكاوي، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1964، د.ط، ص36.
[22] قلق في الحضارة، سيغموند فرويد، مرجع سابق، ص 22.
[23] أسطورة سيزيف، ألبير كامو، مصدر سابق، ص7.

2- الإنسان المتمرّد:

عزّز تأزّم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بين الحربين العالميتين وما بعدهما إحساسَ الإنسان بعبثية الحياة، فغدا مغترباً عن مجتمعه، قلقاً، محبطاً، مضطرباً جراء الأوضاع التي يعيشها، يتنامى حوله العنف والضجر والقلق والعزلة، ولا يبدو ازدياد الاستهلاك كافياً لإشباع جوع الإنسان إلى أن يعمل أكثر من مجرد إعادة إنتاج نفسه والحصول على الاجتماع المادي.[24]

إنّه يدور في حلقة مفرغة مؤدياً أعماله الاعتيادية الروتينية، مقيّداً بقوانين وأنظمة تغيّب حريته الفردية لصالح النظام المجتمعي المنتمي إليه، ليجد نفسه أسيراً مستسلماً لتلك القوانين، عاجزاً عن تحقيق ذاته، وهذا هو العبث- من وجهة نظر كامو- الذي قد يجعل الإنسان متمرداً مدفوعاً بغرائز حفظ الذات، وما الإنسان المتمرد؟ "إنّه إنسان يقول: لا، ولئن رفض فإنّه لا يتخلى، فهو أيضاً إنسان يقول: نعم، منذ أول بادرة تصدر عنه.... المتمرد يريد أن يكون كلّ شيء، أن يتوحد توحداً ذاتياً كلياً مع الخير الذي شعر به فجأة، وأن يحيا ويُعترف به في شخصه، إنّه يريد أن يكون هذا الكل أو أن يكون لا شيء، أي أن تحرمه القوة المتحكمة به حرماناً نهائياً، وهو في النهاية يرضى بالحرمان والسقوط الأخير، ونعني الموت إذا كان لا بدّ من حرمانه هذا التكريس الخاص الذي يسميه مثلاً حريته، إنّه يؤثر أن يموت عزيزاً رافع الرأس على أن يعيش عيشة الهوان."[25]

وقد يؤثر بعض الناس الانتحار في فوضى هذه الحياة وحمّى عدميتها وعبثيتها، وإذا كان القتل والانتحار وجهين لعملة واحدة فإنّ كامو يرى بأنّ "كلّ انتحار منفرد حينما لا يكون دافعه الغلّ هو في بعض نواحيه صادر عن شرف النفس أو عن الازدراء."[26] ولكن

[24] أزمة التحليل النفسي، إريك فروم ، تر: محمود الهاشمي، دار الحوار، اللاذقية، 2012، ص 108.
[25] الإنسان المتمرد، ألبير كامو، تر: نهاد رضا، منشورات عويدات، بيروت، 1983، ط3، ص 18-20.
[26] المصدر السابق نفسه، ص12.

على الرغم مما قد يتعرض له الإنسان من أزمات فكرية أو ثقافية أو اجتماعية أو سواها، وعلى الرغم من كل المحاولات والدراسات التي تسعى لتفسير ظاهرة الانتحار وتعليلها، يبقى هذا

أما التمرد عند كامو فيعطي للحياة قيمتها لأنّه يحرّض على التفكير واعتزاز النفس بأمور عدة لحقيقة تتجاوز ذاتها، ولربما كان الفنّ قادراً على تحقيق حرية الإنسان في ظلّ هذه العبثية، وإذ يشكّل ملاذاً له يعبّر فيه عن أهوائه ورغباته وأهدافه وأحلامه، ويعي فيه كينونته، ويمارس فيه حريته بأبهى صورها مطلقاً العنان لنفسه لتقول كلّ ما في داخلها من دون تردد أو خوف أو قيود؛ فيخلق صورة للحياة التي يريد، وبذلك يحقق التمرد الفني نوعاً من التوازن في النفس البشرية يجعلها قادرة على الاستمرار في هذه الحياة العبثية، ويقف الفنّ هنا مع "الثقافة والدين كآخر الدفاعات التي يمكن أن يحتمي بها الإنسان ضد غزو الحياة الاستهلاكية والتي تنذر بالقضاء على العقل."[27]

وقد عاش كامو الفنان والإنسان متمرداً منذ صباه، رافعاً لواء المقاومة دفاعاً عن الحياة التي يأملها والحرية التي يريدها في عالم ما انفكّ يغرّبه عنه.

3-**الغريب:**

تضمنت هذه الرواية جوانب من فلسفة كامو؛ فبطلها (مرسولت) لا يتأثر بموت والدته التي لم يأبه لأمرها، ولم يعبأ بمشاعرها حينما أودعها داراً للمسنين وامتنع عن زيارتها، وبدا حديثه عنها بعد وفاتها مجرداً من أي إحساس أو عاطفة أو ألم.

يظهر (مرسولت) في الرواية شخصية مبهمة غريبة التصرفات عديمة الإحساس لا مبالية حتى حين حُكم عليه بالإعدام، إنّه سعيد بغرابته عن هذا العالم، توّاق إلى عالم الفناء والعدم، وكأنّه واعٍ لحقائق الكون المتواضعة أمام حقيقة شعوره بالحرية،

[27] ألبير كامو بين العبث والاغتراب، عوداش فتحية، دراسات فلسفية، المجلد 15، العدد 2، 2018، ص 8.

ونشوة انتصاره على القدر إذ أقدم عليه متحدياً إياه، راسماً نهايته بيده. فاعتياد الإنسان عادة ما تقتل فيه شعوره بالحرية والحياة والحيوية، إنّها تجعله عبداً لها، وقد صودرت حرية (مرسولت) مرتين؛ الأولى عندما زُجّ به في السجن بانتظار المحاكمة، والثانية عندما بدأ يعتاد حياة السجن وعاداته، "أكثر ما كان يشقّ عليّ أيام اعتقالي الأولى هو أنّي كنت أحتفظ بأفكار رجل حرّ....بيد أنّ ذلك لم يدم سوى بضعة أشهر، بعدئذ ما عاد لديّ سوى أفكار رجل مسجون..كانت ثمّة مشكلة السجائر وإذ صرت في الزنزانة طالبت باستعادتها فأخبروني أنّ الأمر ممنوع كانت الأيام الأولى صعبة ولعلّ ذلك أكثر ما دمّرني كنت أمصّ قطع الخشب التي كنت أنتزعها من لوح فراشي..بيد أنّي كنت ساعتها قد اعتدت الحياة دون تدخين وما عادت تلك عقوبة بالنسبة لي."[28]

ويدفعه الحرمان إلى التعود على أشياء أخرى، إلى العيش خارج الزمن "وإذ أخبرني السجّان ذات يوم أنّي قضيت خمسة أشهر في السجن صدقته، بيد أنّي لم أفهمه، فبالنسبة لي كان اليوم نفسه يتكرر في زنزانتي دون توقف وكنت أتابع العمل نفسه."[29]

ويلجأ مرسولت إلى الصمت "للمرة الأولى منذ شهور استطعت أن أسمع بوضوح نبرة صوتي، تعرفت فيها تلك النبرة التي كانت ترن منذ أيام طويلة في أذنيّ، وأدركت أنّي طيلة هذه الفترة كنت أتكلم وحدي."[30]

يتخذ مرسولت الصمت استراتيجية دفاعية عن نفسه؛ فما الفائدة من الكلام مع أشخاص لا يفهمون أفكاره ولا يتقبلونها.

واختياره الموت وشعوره بالسعادة قبيل تنفيذ حكم الموت، اعتراف منه بأنّ حياته لا تستحق ذلك العناء، فالعيش ليس سهلاً طالما أنّه يستمر في أداء الحركة التي يأمر بها

[28] الغريب، ألبير كامو، تر: محمد آيت حنّا، منشورات الجمل، بيروت، 2014، ط1، ص 90-91-92-93.
[29] المصدر السابق نفسه ص95-96.
[30] المصدر السابق نفسه ص96.

الوجود لأسباب عديدة أولها العادة، والموت طوعاً معناه أنّ الإنسان أدرك انتفاء أي سبب عميق للعيش، فما جدوى وجوده؟!

علي الجندي : (1928- 2009)

أسباب الاغتراب ودوافعه:

1- مكان النشأة: وُلد علي الجندي في سلمية في قرية صغيرة اسمها السبيل، لأسرة متواضعة، وعاش في جو مقفر، وحياة اجتماعية فقيرة، فكانت تلك النشأة الريفية القاسية دافعه الأول إلى تمرد فردي، فكان يتأمل ذاك الكون الواسع حالماً بعالمه الجميل الهانئ، لكنّه سرعان ما يرتد إلى واقعه القاسي، لكنّه وجد في أحلام اليقظة والمطالعات الأدبية ولاسيما الشعرية منها ملجأ خاصاً به وتعبيراً عن رفضه لذاك الواقع وهو لم يزل في ريعان الصبا، فعندما يكون الواقع مخالفاً لرغبات الإنسان، مخيباً، محبطاً تأتي أحلام اليقظة ردّ فعل ذهني ووسيلة هروب من هذا العجز، وسبيلاً للبحث عن السعادة؛ فهي متماسكة ضمن سياق منطقي وبإرادة واعية تسمح بإعمال الذهن بغية تحقيق رغبة معلّقة وغير مشبعة على مستوى الواقع. وبقي الريف يسكن شعره في سكناه في بيروت ودمشق واللاذقية، لكنّه لأسباب نفسية لم يفصح عنها لم يعد إلى مسقط رأسه حين قرر مغادرة دمشق إنّما اتجه غرباً إلى اللاذقية ملاذه الأخير حتى وفاته سنة 2009.

2-<u>الوضع السياسي</u>: ينتمي علي الجندي إلى عائلة ناشطة سياسياً وثقافياً وأدبياً، لكنّه رفض الانتماء إلى أي حزب إنّما كان مشدوداً بقراءاته ولاسيما ما يخصّ الفلسفة الوجودية، يقول في إحدى اللقاءات الصحفية: "اهتديتُ أيامها –ويقصد فترة الخمسينيات من القرن العشرين- إلى ألبير كامي وكان يشدني بحثه عن الإنسان المتمرد، وأسلوبه

الجميل في الكتابة، وكان التمرد يعني لي الرغبة في أن تكون لي طبيعة شخصية ربما مختلفة عم كلّ مَن في بيتنا."[31]

لم يؤطّر علي الجندي نفسه داخل حزب سياسي معين لاعتقاده بأنّ من طبيعة الوجودي ألا يكون مؤطراً في اتجاه[32]، لكنّه كان مهتماً بها بلا شك فهو ابن أسرة حديثها اليومي السياسة والأدب، وشكل ديوانه (الراية المنكسة) استشرافاً لنكسة حزيران 1967، يقول:

... غداً أراهُ مقبلاً متعباً

خطوتهُ ترعدُ قلبَ المساءْ

عيناه همٌّ راقدٌ في دمي

نظرتهُ ترعبُ قلبَ الشتاء..[33]

تمّ تسريحه من الجيش في عام 1961 وهي فترة الوحدة مع مصر، ومُنع من التعيين في الوظائف العامة، فوجد نفسه غريباً في بلده لذلك انتقل إلى بيروت مدينة الحياة والحرية، فعاش الحياة التي أحبّ وقليلاً ما كان يشعر بالحنين إلى دمشق لجرح في قلبه –حسب تعبيره– وعلى الرغم من عدم التزامه السياسي إلا أنّ اهتمامه بالمقاومة والقضية الفلسطينية كان واضحاً في كثير من قصائده مثل قصيدة (أيلول الأسود).

3–الوضع الاجتماعي: التكوين النفسي لشخصية علي الجندي جعله عصياً على التأطير فنشأته المتمردة تجعله يرغب في التمايز عن الآخرين في كلّ شيء، "لقد شقّ عصا

[31] علي الجندي: عشت كما أحببت..ويقهرني العجز لا الموت، عمر شبانة، صحيفة الحياة، 1999/7/31.
[32] علي الجندي: عشت كما أحببت، عمر شبانة، المرجع السابق نفسه.
[33] الراية المنكسة، علي الجندي، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، بيروت، 1962، ط1، ص65.

الطاعة على كلّ تقليد واعتياد"[34] ولأنّ المجتمع يرفض عادة هذه الحالات المتمايزة بالتفكير أو السلوك أو الإبداع فإنّه يسعى إلى نبذها وإقصائها؛ فتعيش هذه الشخصية حالة اغتراب في مجتمعها، يقول:

وحيد أنت، لا شيء

على شط الأعاصير،

فمرّغ وجهك المغرور

في وحل الدياجير!..[35]

تجليات الاغتراب في شعره:

لم يذعن علي الجندي لإغراءات الحياة الثقافية والاجتماعية في ستينيات القرن العشرين وسبعينياته، ولم يرغب في أن يؤطّر في أيديولوجية معينة أو اتجاه معيّن، إنّما أراد أن يعيش الحياة ومتعها وصخبها وجمالها، وكان يستفزّ أصدقاءه ليعيشوا معه صخب العالم. وكان لموقفه هذا أثر سلبي آنذاك تجلى في موقف المؤسسات الرسمية منه إذ عملت على تهميشه وإقصائه، الأمر الذي عزّز شعوره بالاغتراب في بلده فالانفصال العضوي بين المثقفين والمجتمع أحد أهم أسباب عزلتهم واغترابهم.[36]

وشكّل الشعر عنده البديل النفسي لمواجهة الواقع الذي أقصاه وجعله غريباً عنه.

[34] رحل زوربا الشعر العربي.. علي الجندي نكّس الراية الأخيرة وانحاز للغياب، زيد قطريب، صحيفة تشرين، ملف تشرين الثقافي، الاثنين 10 آب 2009.
[35] الراية المنكسة، علي الجندي، مصدر سابق، ص23.
[36] يُنظر: السالب والموجب حول اغتراب المثقف العربي، فايز حداد، مجلة المعرفة، العدد (523)، نيسان، 2007،ص222.

مقارنة بين كامو وعلي الجندي:

يلتقي ألبير كامو وعلي الجندي في موقفهما المشترك ضد الحزن والتعاسة والشقاء البشري؛ فيظهر في مؤلفاتهما أثر نفسيتهما رهيفة الحس وإنسانيتهما الرافضة لمأساة الإنسان في هذه الحياة منطلقين من نقطة واحدة هي الألم، هذا الألم بشقيه المادي والمعنوي هو من صنيعة الإنسان الذي ما فتئ يشعر بغربته في كلّ اتصال له مع الآخرين في هذه الحياة العبثية التي فُرض عليه أن يحياها بإيقاعها الرتيب من الولادة إلى الموت وما بينهما من أعمال اعتيادية تصيبه بالسأم والملل ليسأل نفسه: وماذا بعد؟ ما الجدوى من هذه الحياة؟ فيتقدم العبث شعوراً واعياً ناجماً عن موقف الإنسان من لاعقلانية الوجود، وأسطورة سيزيف خير مثال لتجربة الإنسان العبثية "فليس هناك أتعس عقاب من العمل ينفذّه الإنسان دون جدوى ودون أمل."[37]

وجد كامو أنّ أفضل طريقة لتقبّل عبثية الحياة هي الاستمتاع بكلّ لحظة فيها، ومعايشة تناقضاتها لذلك طلب أن نتخيّل سيزيف سعيداً؛ فهو مع إدراكه لشقائه إلّا أنّه سعيد بتمرده على الآلهة لأنّه من خلال هذا التمرد يحقق حريته مدركاً حقيقة وجوده، فالتمرد فيه دعوة للاستمتاع بملذات الحياة إلى حد الامتلاء.

ولا يتحدث كامو عن الحياة إلا أعقبه حديث عن الموت الذي خبره منذ صباه جراء إصابته بالسلّ، وكان يتهدد حياته في كلّ مرة تعاوده فيها نوبات هذا المرض، فعاش في رعب دائم لذا برز الموت سمة عامة في مجمل أعماله، حاول التغلب عليه بالإقبال على متع الحياة ومباهجها بشكل بلغ حد الإفراط.

أما علي الجندي فصحا على النكسة المروعة التي تلقاها جيله في حزيران 1967 فانهارت أحلامه السياسية والثقافية، وحاصره إحساسه بالخراب والوحدة القاتلة المدمرة،

[37] أسطورة سيزيف، مصدر سابق، ص 161.

فاتجه إلى الشعر ليجعل منه عالماً موازياً للواقع المزري ومعوضاً له، فانتشر إحساسه بالقلق والبؤس والحزن في قصائده[38]، يقول:

إنّي أعرف أنّي صرت وحدي

أنّني أفردت إفراد البعير

صرت كالمجذوم في أهلي

فمن دنياي غوري[39]

وتعويضاً لتلك الخسارات والانكسارات راح علي الجندي يقبل على ملذات الحياة ومباهجها، لكنّ شبح الموت انتشر في قصائده وصبغها حزناً، فاستقراء دواوينه الشعرية الموشاة بعنوانات فجائعية يكشف عن هواجسه الفكرية وفلسفته الخاصة في الحياة مشرّعاً الأبواب أمام تأويلات المتلقي وافتراضاته، إذ لا يُخفي علي الجندي حبّه وتعلقه بالحياة على الرغم مما يبوح به من شعر حزين فجائعي، ولم تكن الحياة في نظره إلا ممر عبور إلى عالم آخر غامض ومجهول؛ لذلك رأى الموت فراراً من جحيم الذات وانعتاقاً من تناقضات الأعماق المشتعلة:

وإلى أين المفر؟

كلّ بحر الموت قدامك

والماضي وراءك..

.. أنتَ لا تهرب من ماض ولا من مقبل أسود

[38] دراسات في الشعر الحديث، وفيق خنسة، دار الحقائق، 1980، ط1،ص85-87.
[39] طرفة في مدار السرطان، علي الجندي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1975، د.ط، ص15-16.

بل تهرب من أعماقك المشتعلة

حاملاً أنّى حللتَ الخوف والموت معك

وعذابات البلاد المعولة..

حاملاً أحزانك المكتملة...

وحيدٌ.. وحيد.[40]

يشعر علي الجندي بالوحدة غريباً ومغترباً عن ذاته والعالم، وبالأمس كان قمر المجالس يستنفر أصدقاءه ليعيشوا صخب الحياة .

إنّ الشعور الحاد بالقلق والعزلة الذي ينشأ من إخفاق الأنا في إقامة العلاقة مع الآخر يمهّد لظهور شعور الذات المتزايد بنفسها "فالإنسان لا يدرك شخصيته وأصالته وتفرّده وتميّزه عن كلّ شخص وعن كلّ شيء إلّا عندما يبقى وحيداً."[41] وليتغلب على وحدته وعزلته يلجأ إلى وسائل تعويض أو استراتيجيات تخرجه منها؛ فيعود باحثاً عن الآخر في علاقة حبّ أو صداقة أو فنّ أو ما شابه.

لذلك أحاط كلّ من كامو والجندي نفسه بشبكة واسعة من العلاقات الاجتماعية مع أصدقاء وصديقات يتناسى من خلالهم شعوره بالاغتراب.[42]

ذاك الاغتراب الذي راح يتعمق روحياً وشكّل دافعاً مهماً في عودتهما إلى التراث باحثَين عن شكل من أشكال الخلاص، فالتعمق في البعد التاريخي شكّل "نوعاً من

[40] سنونوة الضياء الأخير، علي الجندي، دار الجندي، دمشق، 1992، ط1،ص63-64.
[41] العزلة والمجتمع، نيقولاي برديائف، تر: فؤاد كامل، مراجعة: علي أدهم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، د.ط، ص115.
[42] يؤكد هذا القول مجموعة من اللقاءات الإعلامية (صحافة- تلفاز) التي أجريت معهما، وبعضها مذكور في هذا البحث.

الهرب الفكري والوجداني للفنان، كما أّنه يمده بنوع من القوة الأخلاقية، ويؤمّن له ربما تغيير وعي كامل شكلاً من أشكال إعادة الاتصال بالانتماء الإنساني."[43] فوجد البحث أنّ كامو نظر إلى (سيزيف) الشخصية الأسطورية المعروفة نظرة فنية مبدعة؛ إذ تخيّله سعيداً مسروراً بعمله ذاك متحدياً الآلهة كي يستطيع التغلب على مللّه وعمله اللامجدي، وما فعل ذلك إلا لأنّه اتخذ (سيزيف) قناعاً يمثّل (أناه) المتمردة المتفرّدة في تحديها لعبثية هذا الوجود.

بينما وجد علي الجندي في شخصية طرفة بن العبد القناع المثالي الذي يمكن له من خلاله البوح بما يعانيه من آلام الاغتراب:

...إنّني أعرفُ أنّي صرتُ وحدي

إنّني أُفردتُ إفرادَ البعير

صرتُ كالمجذوم في أهلي

كلّ أصحابي يا فاتكة العينين راحوا

كلّهم ألقوا عليّ العبء يوم انتبذ الفرسان.[44]

بنى الجندي نصه الشعري السابق متناصاً مع قول طرفة:

إلى أن تحامتني العشيرةُ كلّها وأُفردت إفراد البعير المعبّد[45]

لكنّه لم يتمثّل نموذجه المثالي كما ينبغي، بل ظهر فارساً جباناً، مقهوراً، يائساً:

[43] الأدب والنقد في الغرب، حسام الخطيب، منشورات جامعة دمشق، 1994، ط5،
[44] طرفة في مدار السرطان، علي الجندي، مصدر سابق، ص15-16.
[45] الديوان، طرفة بن العبد، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ط3، ص25.

وإذا قالوا جهاراً: مَن فتى؟

خلتُ أنا..

لكنّني اليوم جبان؛

عرفتْ أوردتي طعمَ الهَوان..[46]

النص الشعري السابق بُني على بيت طرفة القائل:

إذا القومُ قالوا: من فتى؟ خلتُ أنّني عُنيتُ فلم أكسل ولم أتبلّدِ[47]

لكنّ علي الجندي جاء فيه برؤية مغايرة مناقضة، فقد استمسك به الذلّ و اليأس وبلغا منه كلّ مبلغ فاستسلم للحياة باكياً. فعلى الرغم من تجلّده وتظاهره بالقوة في سنوات عزلته في اللاذقية إلا أنّه كان هشاً ليناً من الداخل خصوصاً حينما يُذكر الأصدقاء، يقول في قصيدته (الصراخُ عبثاً):

... منذ يومين، خمسة، ألف عام!

لم يقل لي واحدٌ: مرحبا!

لم يسلّم عليّ أحبابي الميتون... والريح

فأقاوم خوفي ووحشة أنّي وحيد من الكلمات ومن سأم الساعة الواحدة

و .. تدهمني الذكرياتُ الطرية

... وهذا صباح جديد يفيق... ولا... هاتف

[46] طرفة في مدار السرطان،مصدر سابق، ص 38.
[47] الديوان، طرفة بن العبد، مصدر سابق، ص24.

و...أنتم بعيدون يا .. صحبي الطيبين

و... أنتم تآمرتم اليوم ضدي

وبالأمس أوصلني بعضكم للجنون!

وما خنتُ عهداً لكم يا .. رفاقَ المفازة

لم أتنعّم بخبزي وخمري وحيداً .. ولا مرة..[48]

إنّ قراءة متأنية لهذا المقطع الشعري تكشف عن انفعال الشاعر الحاد الذي فجّر كيانه، ودفعة إلى الإحساس بالسأم وقد جلس يعاتب أصدقاءه الذين تخلّوا عنه فما عاد أحد يكلّمه، وتدفعه ذكرياته معهم إلى البكاء، إنّه يبكي بحرقة حين يتذكر جلساتهم وضحكاتهم، خلافهم واختلافهم، يبكي كطفل صغير اغتالَ خبثُ العالم براءته، "أبكي ..فالعالم مازال يصدمني كالطفل ساعة الولادة يبكي محتجاً لمجيئه إلى هذا العالم المجنون... والآن أبحث عن العزاء.. أي عزاء.. ولكن مثل أي شيء، كلّ شيء.. حاولتُ العثور عليه في حياتي كلّها، فلم .. ولا.. ولن أجده."[49]

فالشاعر يعترف بخسارته الحرب أمام هذا العالم العبثي، ويبقى السؤال مشروعاً: لو قُدّر لكامو أن يحيا لسنوات أطول هل كان سيختار العزلة طواعية في أواخر أيامه مستسلماً لحزنه ويأسه وغطرسة هذا العالم العابث؟!.

[48] صار رماداً، علي الجندي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ، دمشق، 1987،ط1، ص145-149.
[49] علي الجندي: قمر يجلس قبالتك على الطاولة، منذر مصري، الحوار المتمدن، العدد 714، 2004/1/1، https:\\m.ahewar.org.

ختاماً أقول:

خَبِر ألبير كامو وعلي الجندي أنواعاً من الاغتراب، سببتها الظروف السائدة آنذاك سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، وواجها تحديات جمّة فرضتها المؤسسات السياسية والثقافية، والحياة الاجتماعية بأعرافها وتقاليدها الآسرة لكلّ جديد أو متفرّد.

واضطلع كلّ منهما بدوره في حركة التغيير الثقافي والاجتماعي المنشود في بلده، لكنّه مُني بخيبات وانكسارات متلاحقة جعلته يعيش اغتراباً حاداً، حاول جاهداً التعامل معه وتجاوزه وفق استراتيجيات معينة؛ فاتفق أن اتجها إلى التمتع بملذات الحياة: نساء وصحبة وفناً.

وبقي هذا ديدنهما إلى أن توفي كامو إثر حادث مأسوي، بينما اختار الجندي منفاه في اللاذقية، منكفئاً على ذاته، معتزلاً العالم من دون أفول يليق بـ (ظريف دمشق) .

النتائج

أ- بدأ الاغتراب عند علي الجندي فكرياً متجلياً في تخطيه منظومة الأعراف والتقاليد السائدة فهو الذي اختار لابنه البكر اسم (لهب) ولابنته اسم (نفور) في تحدّ واضح لمحيطه، لينتهي اغترابه جسدياً باختياره العزلة عن الناس في مدينة اللاذقية بعيداً عن الحياة الصاخبة التي كان يحبّ ويعشق.

ب- بدا الشعور بالاغتراب عند ألبير كامو أقوى وأعمق منه عند علي الجندي، الذي كان منحازاً إلى أسلوب عيش يجمع الشعر والحياة الحرة في كأس واحدة، بينما انشغل كامو بالتنظير في لا جدوى الوجود، وعبثية الحياة، محاولاً الإجابة عن ذلك في مختلف ما كتبه من مقالات فلسفية وكتب أدبية.

ت- واجها شعورهما بالاغتراب مستخدمين الاستراتيجيات نفسها: الإقبال على مباهج الحياة والاستمتاع بها، مخالفة الأعراف والتقاليد الاجتماعية السائدة والتمرد عليها، الصمت (صمت مرسولت في سجنه، وصمت علي الجندي في منفاه)، العودة إلى التراث بحثاً عن القناع المثالي الذي يسهم في توضيح رؤاهما وإبرازها.

ث- قد يعطي التمرد للحياة قيمتها لأنّه يحرّض التفكير واعتزاز الإنسان بأمور عدة لحقيقة تتجاوز ذاته، وقد تجلى ذلك إبداعاً أدبياً وفكرياً عند كامو، وشعرياً عند علي الجندي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الأدب والنقد في الغرب، حسام الخطيب، منشورات جامعة دمشق، 1994، ط5.
2. أدباء فازوا بجائزة نوبل، أنيس فهمي إقلاديوس، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1999، ط1.
3. أزمة التحليل النفسي، إريك فروم ، تر: محمود الهاشمي، دار الحوار، اللاذقية، 2012.
4. أسطورة سيزيف، ألبير كامو، تر:أنيس زكي حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، د.ط.
5. أعراس، ألبير كامو، تر: جورج طرابيشي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، د.ط.
6. ألبير كامو (محاولة لدراسة فكره الفلسفي)، عبد الغفور مكاوي، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1964، د.ط، الإنسان المتمرد، ألبير كامو، تر: نهاد رضا، منشورات عويدات، بيروت، 1983، ط3.
7. ألبير كامو– موسوعة ستانفورد للفلسفة، تر: سارة اللحيدان، 2019/6/27، https:\\hekmah.org
8. الخوف من الحرية، ايريك فروم، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972، ط1.
9. دراسات في الشعر الحديث، وفيق خنسة، دار الحقائق، 1980، ط1.
10. ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق: إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996، ط2.
11. الديوان، طرفة بن العبد، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ط3.
12. سنونوة الضياء الأخير، علي الجندي، دار الجندي، دمشق، 1992، ط1.
13. صار رماداً، علي الجندي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ، دمشق، 1987،ط1.

14.طرفة في مدار السرطان، علي الجندي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1975، د.ط.

15.. العزلة والمجتمع، نيقولاي بردیائف، تر: فؤاد كامل، مراجعة: علي أدهم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، د.ط.

16.العقد الاجتماعي، جان جاك روسو، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، د.ت، د.ط.

17.العين، الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، 41/4.

18.الغريب، ألبير كامو، تر: محمد آيت حنّا، منشورات الجمل، بيروت، 2014، ط1.

19.فنومينولوجيا الروح، فيورغ هيغل، تر: ناجي العونلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ط1.

20.قلق في الحضارة ، سيغموند فرويد، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1996، ط4.

21.لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت،1994، ط3،ج11.

22.المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ط2.

23.المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، د.ط.

24.معجم المصطلحات الأدبية، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985، ط1.

25.الوجودية مذهب إنساني، سارتر، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: فؤاد زكريا، المجلس الوطني للفنون والآداب والثقافة، الكويت، 1982، د.ط.

المجلات والدوريات:

1- إشكالية الاغتراب في الفكر العربي والغربي، جوزه عبد الله، مجلة الباحث، العدد 9، ابريل ،2012، (262-315).

2- ألبير كامو بين العبث والاغتراب، عوداش فتحية، دراسات فلسفية، المجلد 15، العدد 2، 2018،(1-11).

3- السالب والموجب حول اغتراب المثقف العربي، فايز حداد، مجلة المعرفة، العدد (523)، نيسان، 2007، (216-230).

4- الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً، قيس النوري، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 10، العدد (1)، نيسان 1979، (13-40).

5- رحل زوربا الشعر العربي.. علي الجندي نكّس الراية الأخيرة وانحاز للغياب: زيد قطريب، صحيفة تشرين، ملف تشرين الثقافي، الاثنين 10 آب 2009.

6- علي الجندي: عشت كما أحببت..ويقهرني العجز لا الموت، عمر شبانة، صحيفة الحياة، 1999/7/31.

7- علي الجندي: قمر يجلس قبالتك على الطاولة، منذر مصري، الحوار المتمدن، العدد 714، 2004/1/1، https:\\m.ahewar.org. .